# المسرح وتعليم اللغة للأطفال

عطية العمري

ما يلي هو ملخص ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الأول لمركز رعاية وتنمية الطفولة ("تربية الطفل من أجل مصر المستقبل – الواقع والطموح"، 2002) أعدها د. كمال الدين حسين، أستاذ الأدب المسرحي والدراسات الشعبية في كلية رياض الأطفال بجامعة القاهرة.

## اكتساب اللغة عند الأطفال

يحتاج الإنسان في حياته إلى التواصل مع الآخرين من بني جنسه، وتعتبر اللغة المنطوقة في كلمات من أهم وسائل التواصل بين الإنسان ومجتمعه، وبين الإنسان والآخر... بها يمكنه اكتساب الخبرات والمعارف، وبها يسأل عما يشبع احتياجاته المتنوعة، كما يعبر بها عن مشاعره وأحاسيسه في إبداعات أدبية متنوعة، وسيلته في ذلك الكلمة.

واكتساب اللغة وتنميتها لدى الإنسان، لا يرتبطان بمرحلة عمرية، فهما عملية تراكمية تبدأ مع الإنسان من طفولته، من لحظة مناغاة الآخرين له، لا يختلف في ذلك إنسان عن إنسان، أو جنس عن جنس، فكل فرد يتعلم من الآخرين في مراحله المبكرة، وتتراكم المعارف اللغوية، ومهارات استخدامها من مرحلة لأخرى، وتستمر طالما استمر الإنسان حياً يتفاعل ويتواصل مع الناس والحياة.

ويولد الطفل مزوداً بأجهزة استقبال والتقاط وذاكرة، تساعده على تعلم اللغة، واكتساب مفرداتها وتركيباتها، وبنائها، ومن أهم هذه الأجهزة ما يرتبط بالعقل مركز التفكير والقيادة للإنسان.

## المسرح وتعلُّم اللغة

مما لا شك فيه أن المسرح، كشكل من أشكال التواصل الإنساني المباشر، يتعرض في موضوعاته لعديد من الخبرات الإنسانية من خلال نماذج إنسانية تتواصل وتتفاعل مع بعضها ومع المجتمع بثقافته ونظمه الحضارية، ووسيلته في ذلك الكلمة ويساعد هذا الإنسان لتنمية بعض مهارات التواصل، ومنها الاستماع والحديث، واللغة باعتبارها عصب هذه المهارات، فارتباط اللغة بالفهم والفكر يساعد على تنمية مهارات الحديث والتعبير. هذا بجانب ما تتسم به لغة المسرح وحواره بجماليات أدبية رفيعة، يختص بها فن الكتابة المسرحية عن سائر أشكال فنون الأدب، كل هذا يجعل من النص/ العرض المسرحي وسيطاً جيداً لإكساب المتلقي المهارات اللغوية اللازمة لتحقيق تواصل بناء.

من جانب آخر، هناك جماليات التمثيل التي تعتمد على فنية الإلقاء التي تجعل الكلام "واضحاً في المبنى والمعنى"، تساعد على تنمية التذوق اللغوي، واكتساب المتلقي لعدد من المفردات اللغوية الجديدة التي تثرى قاموسه اللغوي من جهة، ومن جهة أخرى يحفل العرض المسرحي بعدد من اللغات التي يتواصل بها مع متلقية، والتي يمكن أن تكون وسيطاً جيداً لتعلم اللغة وإكسابها للأطفال. وإن كان المعلم في الفصل يعتمد على لغة منطوقة، وفى قليل من الأحيان يستعين ببعض الوسائل التعليمية، فإن المسرح يستخدم دوماً عدداً من اللغات المتنوعة في مخاطبة مشاهديه، ومنها اللغة المسموعة التي يخاطب بها حاسة السمع، وهى قد تكون لغة منطوقة تعتمد على الكلمة التي يجب أن تكون بسيطة في مستوى القدرة اللغوية للمشاهدين، ومناسبة للشخصيات بأبعادها الفيزيقية والاجتماعية والنفسية، وأيضاً لغة الموسيقى والمؤثرات السمعية التي تعمل على تحقيق المزاج النفسي والإثارة والانفعالية المناسبة للمشهد.

هناك أيضاً اللغة التشكيلية التي يعبر عنها من خلال المناظر المسرحية (الديكور) والأزياء، والألوان، وهى تخاطب حاسة الأبصار، وتحقق الإثارة البصرية. والمنظر المسرحي في مسرح الطفل يمكن أن يكون كالكتاب المصور، يساعد على تنمية القدرة القرائية لدى الطفل، كما يساعد عل تعرفه على الحروف المختلفة ونطقها مرتبطة بالأسماء، من خلال إضافة وحدات من الحروف المرتبطة بأسماء الشخصيات والأدوات المستخدمة في العرض، وبالتالي تحقق ما قد يحققه الكتاب المصور الذي يعلم الحروف والكلمات.

هناك أيضاً استخدام الملصقات المرسومة والمزودة بكلمات قليلة ببنط يمكن رؤيته من قاعة المشاهدة... واستخدام الأقنعة والعرائس جميعها تحل محل الصور في الكتاب المصور، وتقوم بدورها في إكساب المهارات اللغوية للأطفال مشاهدي المسرح.

وأخيراً . . . هناك لغة الحركة التي يستخدمها الممثلون في التعبير عن المعاني والمشاعر والانفعالات المختلفة التي يعبر عنها الموقف، والتي تساعد على الفهم وتيسير المعنى من خلال تعبيرات الوجه، وحركة الجسم، والإشارة، والإيماءة . . . هذه اللغات لا تعمل في المسرح منفصلة عن بعضها البعض، بل تعمل في تضافر وتناسق تام، بحيث تعمق كل منها اللغة الأخرى، لدرجة أن ما لا تستطيع الكلمة المباشرة أن توصله إلى المشاهدين من معانٍ، يمكن للمنظر أو الحركة أن تحققه، كما يمكن أيضاً للحركة والمنظر أن يعمقا من المعاني التي تجيء بها الكلمات والمحتوى.

## توظيف المسرح في تعليم اللغة للأطفال

وهكذا، يحقق استخدام المسرح في العملية التعليمية مزيداً من العمق في الفهم والتفسير من خلال تعدد لغاته، وتعدد الحواس التي يتعامل معها. ولكل ذلك يكون المسرح التعليمي أو مسرحة المناهج التي يمكن توظيفها في تعليم اللغة للأسوياء وللأطفال في المدارس. إن تعلم المواد الأكاديمية من (قراءة، وكتابة، وحساب) ليست هدفاً في ذاته، بالنسبة لتلميذنا، وإنما الهدف هو أن يوظفها في المواقف الحياتية اليومية، بما يحقق تكيفه الشخصي والاجتماعي، واستقلاليته، وقدرته على الإنجاز.

وعلى ذلك، يمكن القول إن الطفل في حاجة إلى أن يتعلم ويتدرب على مهارات التواصل، والعناية بالذات، والحياة المنزلية، والمهارات الاجتماعية، واستغلال وقت الفراغ، والتوجيه الذاتي، والشعور بالأمان، والثقة بالنفس، بجانب المهارات الأكاديمية التي تساعده في التفاعل مع الحياة. ولكي يتحقق هذا، لا بد، وبالضرورة، الاستعانة بمنهج الأنشطة، وبالأخص الأنشطة الدرامية والتمثيلية.

هنا يأتي دور المسرح، الذي يعمل بمثيراته المتعددة، ولغاته التي تتضافر، وعوامل الجذب والتشويق المتنوعة، بداية من المحتوى الذي يقدم للطفل موضوعاً يقع في دائرة اهتمامه، من خلال شخصيات تثير لديه بعض الانفعال، ولها القدرة على إضحاكه، التي يمكن أن يتوحد معها ويتقبل أفكارها. ويتم ذلك من خلال مواقف درامية قصيرة تتناسب مع مدى الانتباه لديه يعقبها نقاش وحوار حول ما تم، وحوار مقنن يسعى لتوضيح الموقف الدرامي، وما يتضمنه من معارف، ومعلومات تفسر وتوضح وتعمق من الموضوع التعليمي، الذي هو الهدف النهائي لمسرحة المناهج.

ومن جهة أخرى، فإن الإعداد الدرامي للمسرحية التعليمية، داخل إطار من الخبرة الحياتية، يمكن أن يحقق التوجيه السابق الإشارة إليه، بوضع الموضوع التعليمي في سياق حياتي، ما يساعد على إكساب الطفل مهارة التوظيف للمعرفة في الحياة. ويرتبط هذا الموقف بتنمية الطفل اجتماعياً من خلال ما يتعرض له من نماذج سلوكية تساعده على التكيف الشخصي والاجتماعي. ويتفق هذا مع الأهداف العامة لمنهج تعليم الطفل، التي تسعى إلى تنمية المهارات الاجتماعية، وتعريف الأطفال بكيفية التعامل مع الآخرين. وكما سبق الإشارة لا بد من وجود فترات من النقاش والحوار، بين الراوي والطفل، حول ما تمت مشاهدته، تلك الفترات التي تساعد على تنمية قدرات التواصل والتعبير لدى الأطفال، والتي تعتمد بالضرورة على تنمية القدرات اللغوية.

## خلاصة

نخلص مما سبق إلى أنه لكي يمكن توظيف المسرح كوسيط تعليمي يتعلم الأطفال اللغة من خلاله كنموذج لا بد من أن تتوفر في النص/ العرض أمور عدة، من أهمها: الارتباط بخبرة حياتية تتناسب مع المرحلة العمرية وتقع في دائرة اهتمام الطفل، كذلك لا بد أن تقدم من خلال نماذج من السهل التعرف عليها، مألوفة لدى الطفل لها القدرة على الإثارة والتشويق والجذب. ويفضل أن يوظف الإطار التشكيلي كمثير وحافز للتعرف على الحروف والكلمات البسيطة، وبخاصة أسماء الشخصيات والأشياء التي تتعامل معها شخصيات المسرحية.

كما يفضل أن تكون هناك مساحات للارتجال، والحوار والمناقشة الحرة، تقوم بين المؤدي والأطفال، وتسمح بتقويم المكتسبات اللغوية، وإتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن أفكارهم من خلال اللغة. ويحسُن أن يكون هناك تكرار للكلمات الجديدة في أكثر من سياق داخل الخبرة المعروضة في مساحة التمثيل، ومناقشة الأطفال حول معانيها المختلفة تبعاً للسياق الحياتي، وأن تقدم الكلمة بأكثر من صورة خلال العرض، مكتوبة، ومؤداة، ومغنّاة في أغنيات بسيطة تثير دافعية الطفل.

ومن المفيد أن تكون هناك فترات للتطبيق التربوي على المكتسبات اللغوية والتعبير، وإعادة الأداء التمثيلي، أو إعادة رواية موضوع المسرحية لتدعيم ما اكتسبه الطفل من مهارات للتواصل ومفردات لغوية يثري بها قاموسه اللغوي.

وأخيراً لا بد من أن يشرف على الفعل المسرحي هنا معلمون مؤهلون، مدرَّبون على كيفية قيادة الفعل داخل المدرسة، وتقديم عرض مسرحي، والاستفادة منه في تعلم مهارات التواصل وتنميتها، ومنها اللغة.

**عطية العمري – مركز القطان/ غزة**

## المرجع


- (Available Online): http://www.adabatfal.com/arabic/modules.php?name=News&file=print&sid=31 (Accessed October 17, 2006)